

رواية
أنا في عمق البحر

تأليف ملاك جميل

أنا في عمق البحر

أنا في عمق البحر

رواية أنا في عمق البحر

تأليف

ملاك جميل

الطبعة الأولى

م 1446/2025هـ

المقدمة:

في عمق البحر... لم يكن هناك ماء، بل صمت،
رواية نفسية غامضة تحكي رحلة فراس، شاب غرق
في داخله قبل أن يتعلم السباحة في هذا العالم
القاسي، وسط فوضى الذاكرة، وممرات لا نهاية لها،
يواجه أصواتًا، ظلالًا، وذكريات كان يتمنى نسيانها،
وليث... الرفيق الذي لا يشبه أحد، كان مرآة لكسر
آخر، كأنهما انعكاسان لنفس الغرق
هل ينجو الإنسان من نفسه؟
وهل يمكن للصمت أن يكون بداية لا نهاية؟

"أنا في عمق البحر"

رواية تبحث عن النور داخل العتمة... وعن صوتٍ لا
يخاف الظهور.

الأهداء:

إلى كل من يشعر يوماً أنه يغرق،
هذه الكلمات لك، لتعرف أن التنفس
ممکن، حتى في أعماق البحر.

ك/ملاك جميل

الفصل الأول:

لا قاع لما أشعر به

لا أعرف متى بدأت الغرق...

كل ما أعلمه أنني الآن في مكان لا يصل إليه الضوء،
ولا حتى الظلال.

الهدوء هنا لا يشبه السكون الذي نبحت عنه، بل هو
نوع من الموت البطيء، لا هواء، لا صوت، فقط نبض
خافت، كأنه لا يزال يحاول أن يقنعني أنني على قيد
الحياة.

أشعر بثقل في صدري، كأن أحدهم وضع حجراً فوق
قلبي ثم ابتعد، وتركه يتآكل ببطء،

أفكاري مشوشة، تتكرر كأمواج تصطدم بنفس
الصخرة ولا تتعلم.

هناك شيء ما فقدته... لا أتذكره، لكنني أعرف أنني
لم أعد كما كنت.

أتحدث إلى نفسي بصوت لا يسمعه أحد
وأكتب جملاً في رأسي، كأنني أدون مذكرات غريق،
لا أحد هنا، ولا أحد في الخارج يعلم أنني أنزلق كل
يوم أعمق... وأعمق...

في بعض اللحظات، أظن أنني أرى ضوءاً بعيداً.
لكنني لا أتحرك نحوه،

ربما لأنني خائف مما سأجده إن خرجت من هذا
الظلام، أو ربما... لأنني بدأت أرتاح هنا.
الغريب أنني لا أبكي.

البكاء يحتاج لشيء يُفقد، وأنا لا أملك شيئاً كي
أخسره.

حتى ملامحي نسيتها، مرّ وقت طويل منذ أن نظرت
في مرآة أو حتى فكرت أنني موجود فعلاً.

الناس يظنون أن الغرق يحدث فجأة؛ لكن الحقيقة
أنه يحدث ببطء، بصمت
قطرة... بعد قطرة...

أنا الآن لا أطلب شيئًا، لا النجاة، ولا حتى الفهم
أريد فقط أن أتنفس، ولو لمرة، دون أن أشعر أن
الهواء يعبر قلبي قبل أن يصل إلى رئتي.
ولأول مرة، همست لنفسي بصوت خافت:

"هل أنا حقًا في عمق البحر... أم أن البحر في داخلي
؟"

الفصل الثاني:

الممر

لم أكن نائمًا، ولم أكن مستيقظًا أيضًا، شيء في داخلي قادني إلى ممرٍ طويل، جدرانه لا تشبه شيئًا رأيتَه من قبل، كأنني أمشي داخل رأسي... أرضية من ظلال، جدران من ذكريات باهتة، وسقف لا يرى، على جانبي الممر، أبواب كثيرة، كل باب يحمل رمزًا:

ساعة مكسورة، يد دامية، وردة سوداء، مرآة مشققة...

لم أفهم أيًا منها، لكن قلبي يعرف، كل رمز يفتح شيئًا لا أريد مواجهته.

اقتربت من أحد الأبواب باب رمادي عليه نقش صغير:

"الصوت الأول."

ترددت.

أشعر أن خلفه شيء أعرفه، شيء حاولت نسيانه،
شيء لم أغفره لنفسي، مددت يدي، مقبض الباب بارد
جدًا، كآته جليد الذكريات،

فتحت الباب ببطء...

وانهالت الأصوات، صوتي، وأنا أصرخ، صوت آخر،
أنين، بكاء، صدى شجار، كنت صغيرًا... غاضبًا...
لكنني لا أتذكر لماذا.

ثم رأيتني،

طفل في العاشرة، جالس في الزاوية، يبكي بصمت،
وأنا، أنا الآن، فراس، لم أستطع الاقتراب منه، كأن
هناك جدارًا شفافًا بيننا، جدار من الذنب.

أغمضت عيني.

أردت أن أعود... لكنني لم أعرف الطريق.

حين فتحت عيني من جديد،

عدت إلى الممر، لكنه لم يكن كما كان، الضوء خفت، و
الأبواب اقتربت من بعضها، كأن المكان يضيق كلما
عرفت أكثر،

سمعت صوتًا خافتًا خلفي، يشبه الهمس:

"كل باب يوجع، لكن لا خلاص دون فتحه..."

الفصل الثالث:

الباب الأول "الصوت"

وقفت أمام الباب الرمادي، لا زلت أسمع أنفاسي
تتردد كأنها لا تخرج من صدري بل من جدار خلفي
في ذاكرتي، رفعت يدي، وفتحت الباب.
الصوت...

جاء أولًا.

لم أرَ شيئًا بعد، لكنني سمعته واضحًا:
صوتي وأنا أصرخ... ليس غاضبًا، بل خائفًا.
وصوت امرأة، أمي؟

كانت تبكي، تحاول تهدئتي، لكن صوتها يرتجف
ثم ظهر المشهد:

كنت في المطبخ، صغيرًا، لا يتجاوز عمري العاشرة،
كوب مكسور على الأرض، ودماء على يدي.

صرختُ:

"ما كنت أقصد!"

أمي هرعت نحوي، حملتني، ضغطت على جرحي،
لكن عينيها لم تكن على يدي، بل على شيء آخر.
نظرتُ باتجاه نظرتها...

أخي، الأصغر

كان يبكي أيضاً، لا لأنني جرحت يدي، بل لأنه ظن
أنني سأتأذى أكثر بسببه

وقفت هناك... أنا فراس، الآن، رجل في الثالثة و
العشرين، أشاهد نفسي طفلاً خائفاً، وأخي الصغير
يختبئ خلف باب الغرفة،

هذه كانت المرة الأولى التي ضربته فيها.

لا أتذكر لماذا فعلت، ولا حتى كيف...

لكني رأيتها الآن.

الصوت، الصرخة، دموع أمي، ودموعي.

انغلق الباب خلفي بصوت عنيف، عدت إلى الممر،
كل شيء أصبح أضيق، أنفاسي أثقل، وكأن الحلم بدأ
يختنق بي.

ثم...

سقوط.

شعرت أنني أسقط في فراغ، دون وزن، دون صوت،
دون حتى فكرة

الظلام ابتلعني فجأة، وكل الأصوات سكتت.

(استيقاظ)

استيقظت فجأة، الساعة تشير إلى الرابعة صباحًا،
الجو خانق، والعرق يغمر وجهي وكأنني خرجت فعلا
من البحر، حدقت بالسقف طويلاً.

لم يكن مجرد حلم، لقد شعرت بكل شيء، رأيت أخي،
أمي، الدم، الندم، مددت يدي إلى طرف السرير.
قلبت الوسادة، وجدت دفترًا صغيرًا... ذات الدفتر
الذي كنت أكتب فيه وأنا صغير، والمثير؟
صفحة منه مفتوحة على جملة واحدة فقط:

"أنا آسف، كنت طفلًا لا يعرف كيف يحب."

الفصل الرابع:

كأنني شخص آخر

لم أعد أعرف من أنا، أنظر إلى يدي، إلى وجهي في المرأة، إلى عيني، لكن لا أشعر أن هذا الجسد لي، كأنني استعرتُ جسد شخص آخر، شخص كان يعيش هنا... ثم اختفى، وأنا، مجرد بقايا.

المشكلة أن الناس لا يرون التغيير، هم يظنون أنني كما أنا، لكنهم لا يعرفون أن فراس الذي يعرفونه... مات، ما بقي منه مجرد انعكاس.

أمي لا تقول الكثير مؤخرًا، تنظر إليّ وكأنها تريد أن تسأل، لكنها لا تجرؤ، ربما لأنها تعرف أن الجواب سيكسرهما، أو ربما... لأنها تشعر بما أحاول دفنها، أحيانًا تدخل غرفتي، ترتب أشياءي بصمت، تلمس دفاتري، تنظر حولها وتتهدد، لا تسألني إن كنت بخير، وأنا لا أكذب عليها.

أخي الصغير... كبر الآن، لكنه لا ينظر إليّ كما كان،

كنت قدوته، ثم صرت غريبًا
اليوم، مرّ بجانبني وقال بصوت خافت:
"اشتقنا لك، حتى وأنت بيننا."
كلماته بقيت في رأسي، ليست مجرد جملة، بل مرآة،
حتى من حولي يشعرون بأنني شبح،
أعود لليل...

إلى الممر، إلى الأبواب، لكنني لم أعد بحاجة أن أنام
كي أراها، الذكريات أصبحت تصعد وحدها، دون إذن،
والصوت في رأسي يهمس كل ليلة:

"افتح الباب التالي، فراس."

الفصل الخامس:

الزائر

كان اليوم هادئًا بشكل غير مريح، الساعة الرابعة
عصرًا، الضوء يتسلل من بين الستائر بنعومة، لكن
الغرفة مظلمة بما يكفي لتنسى الوقت، فراس جالس
على طرف سرير، عيناه على الأرض، كأنها تبحث
عن شيء ضاع من سنوات، رن جرس الباب،
تجاهله أول مرة، رن مرة ثانية، ثم ثالثة، نهض
بتثاقل، وخرج من غرفته بخطوات بطيئة،
عند الباب، سمع صوتًا لم يسمعه منذ سنوات:
"السلام عليكم..."

تجمّد

فتح الباب ببطء، ووجد أمامه رجلاً في أواخر
الأربعين... ملامحه مألوفة، لكنها باهتة، لحيّة خفيفة،
وملامح مرهقة، وصوت منخفض
"أنا... نايف."

صمت فراس، جفّ حلقه

"أنا... أخوك من أبوك."

ظلّ واقفًا، بلا كلمة، كأن عقله رفض الترجمة

تابع الرجل:

"أدري إني جيت فجأة، بس سمعت عنكم... وعن اللي

صار بعد رحيله."

"رحيله"؟

الكلمة طعنت فراس، لكنه لم يُظهر شيء، أشار له

بالدخول، بهدوء مشبوه،

جلس نايف في الصالة، وبدأ يحكي، عن والدهما، عن

كيف اختفى، وكيف عاش بعيدًا، وعن الرسائل اللي

ما أرسلها أبدًا، قال إنه مات قبل سنة، وترك ورقة

صغيرة فيها اسم فراس... فقط.

لم يتكلم فراس، لم يسأل، لم ينفعل، فقط جلس...

يستمع، لكن في داخله، شيء تحرك، شيء قديم...

ثقيل، ظلّ صامتًا لعشر سنوات، بدأ يرتجف

الفصل السادس:

الذكرى (تكملة المواجهة)

كانت الغرفة ساكنة، لكن أعماقه كانت تعصف، نايف
جلس على الكرسي المقابل، يراقب فراس بصمت
قال بهدوء:

"ما قلت لي... إيش تتذكر من آخر مرة شفت فيها
أبوك؟"

فراس لم ينظر إليه، أكتافه انخفضت قليلاً، وأنفاسه
تغيرت:

"أشياء بسيطة."

قالها بصوت خافت، لكنه ما زال يحاول يدفن
التفاصيل

نايف رد:

"أنا كنت أشوفه كل فترة... ما كان مرتاح، بس كان
دايم يتكلم عنكم. خصوصاً عنك."

رفع فراس عينيه ببطء لأول مرة، صوته فيه ارتجاف:

"قال لك... عن ليلة ما قبل اختفاؤه؟"

هز نايف رأسه بالنفي، أغمض فراس عينيه، جلس في صمت طويل، كأنه يعاقب نفسه على مجرد التفكير، ثم تكلم... وكأن الكلام يجرح حنجرتة:

"أنا كنت ماسك سكين."

"كنت خايف... وهو ضرب أمي، وأنا... كنت بس أبي أوقفه."

نظر لفترة طويلة إلى الأرض:

"ما لمستته. بس لما شافني... كأنه انكسر شيء فيه."

"ثاني يوم، اختفى. من يومها، كل شيء داخلي صار بارد."

نايف بقي صامتًا، ما حاول يواسيه، بس قال بعد لحظة:

"فراس... أبوي ما تركك عشانك رفعت سكين،

ترككم لأنه كان ضعيف. لأنه كان يخاف يواجه اللي سواه."

فراس نظر له لأول مرة بنظرة مباشرة:

"بس ليش أحس إتي السبب؟ ليش كل هالسنين ما
قدرت أعيش طبيعي؟"

"لأنك طيب."

قال نايف

"لأنك كنت طفل، وتحملت شي مو من حجمك."

فجأة، كأن شيئاً في فراس انكسر.

دمعة وحده نزلت... باردة، خفيفة، لكنها ثقيلة، لم
يكن بكاءً، كان إذناً بالصمت إنه ينتهي.

الفصل السابع:

بداية صغيرة

أستيقظ فراس اليوم وهو يشعر بشيء مختلف، ما هو شعور الراحة، ولا النسيان، بل هو فقط... غياب الثقل، ليس كلياً، لكن كأن الحجرة الكبيرة اللي كانت فوق صدره... تحركت شوية،

جلس على سريره وهو يسمع صوت أمه من المطبخ، لأول مرة ينتبه لنبرة صوتها وهي تردد كلاماً بسيطاً:

"قهوة؟ ولا شاي؟"

كانت تسأل نفسها، لكن فراس ردّ:

"قهوة."

سكتت لثانية، ثم قالت بصوت خفيف:

"حاضر."

نزل رجليه على الأرض، ببطء، وكأنها خطوة رمزية لشيء أكبر، لبس ملابسه، خرج للصالة، وشاف أخوه الصغير يلعب على الأرض، وقف قدامه، ما قال شي،

بس جلس جنبه

"تبغى تلعب؟"

سأله أخوه بتردد

هز فراس رأسه:

"علمني."

كان الوقت يمشي ببطء، واللحظة بسيطة جداً، لكن

في قلب فراس، هذه أول لحظة يحس فيها أنه

موجود فعلاً، ليس كظل، ولا كذاكرة مكسورة،

بل كشخص حي... يتحرك، يسمع، يجاوب،

بعد ساعة، خرج مع نايف، جلسوا في كوفي بسيط

على زاوية الشارع

قال نايف:

"وش ناوي تسوي؟"

رد فراس بعد تفكير طويل:

"ما أدري... بس أبي أتعلم كيف أكون طبيعي."

_____ أنا في عمق البحر _____

ضحك نايف بخفة:

"ما في شيء اسمه طبيعي. فيه بس... صادق."

رفع فراس عيونه له، وقال:

"طيب... أبي أكون صادق."

الفصل الثامن:

الباب المفتوح

في أحد الأيام، كان فراس يتمشى في الحي القديم،
لما لمح لافتة جديدة على مبنى صغير:

"مركز دعم الشباب - جلسات تطوع، تطوير،
تدريب."

توقف.

قرأها أكثر من مرة.

ثم أخذ نفساً عميقاً، وطرق الباب.

استقبلته فتاة شابة، بابتسامة بسيطة:

"تطوع؟"

هز رأسه.

"خبرة سابقة؟"

"لا... بس أعرف الألم."

نظرت له لحظة طويلة.

ثم ابتسمت وقالت:

"هذا يكفي كبداية."

خلال الأيام الأولى، كان فراس يراقب فقط.

يساعد في تنظيم الملفات، ترتيب القاعة، تجهيز
الشاي، فتح الباب للمراجعين.

لم يكن يتكلم كثيراً.

لكن كل وجه يدخل، وكل قصة يسمعها من بعيد...
كانت تمسّ شيئاً بداخله.

مرّة، سمع شاباً في عمره تقريباً، يهمس للمرشد:

"أنا ما أبغى أنتحر... بس ما أشوف سبب أكمل."

تجمّد فراس.

رجع له شعور قديم، نفس الجملة، بنفس الطريقة...

قالها لنفسه كثير.

وفي تلك اللحظة، قرر يكتب اسمه في ورقة

"المشاركين الجدد في التدريب".

_____ أنا في عمق البحر _____

في نهاية الأسبوع، قال له المشرف:

"تبغى تحضر دورة تأهيل المتطوعين؟ فيها مواجهة،
بس أعتقد إنك جاهز."

نظر فراس للورقة، ثم رفع رأسه وقال:

"أنا تعبت من الصمت... أعتقد حان وقت أتكلم."

الفصل التاسع:

صوت الداخل

المكان هادئ

صالة صغيرة فيها خمس كراسي دائرية،
كل متدرب جلس في صمته، وبعضهم يطالع في
الأرض، فراس جلس على الطرف، يتنفس ببطء،
يحاول ما يهرب، دخل رجل خمسيني، هادئ، يحمل
ورقة وكوب قهوة، جلس وسطهم وقال بابتسامة
خفيفة:

"أنا سالم... مدرّبكم. اسمي يعني السلام، بس
صدقوني... التدريبات ما فيها سلام كثير."

ضحك خفيف

بعضهم ابتسم، فراس بقى صامت، لكنه تابع بعينه.

سالم رفع رأسه وسأل:

"ليش تبغى تساعد ناس تعاني؟"

مرت لحظة صمت

ثم قال واحد:

"عشان أنا كنت مثلهم."

وأخر:

"أبي أكون مفيد."

سالم نظر لفراس مباشرة

"وأنت؟"

تردد...

ثم قال بصوت منخفض:

"يمكن لأن محد ساعدني لما كنت أحتاج"

سالم ما علق.

بس كتب شي في ورقته

قال بعدها:

"مساعدة الناس ما تبدأ من الشفقة... تبدأ من

الصدق."

"تبغى تعين شخص غرقان؟ لا تمد له يدك وانت ما

تعرف تسبح."

الجملة ضربت في فراس

...

في نهاية اليوم، طلب سالم من كل متدرب يكتب

رسالة لنفسه:

"بس كلمة وحدة... توجهها لنسختك القديمة."

الجميع كتب بسرعة، فراس تأخر

وفي النهاية كتب:

"اصبر."

الفصل العاشر:

الكرسي الفارغ

في اليوم الثالث من التدريب، دخل سالم القاعة وهو يحمل كرسي خشبي صغير، ووضعه في منتصف الحلقة،

قال بنبرة جادة، تختلف عن نبرته المعتادة:

"اليوم عندنا تمرين اسمه (الكرسي الفارغ) الشخص اللي يجلس هنا... يتكلم مع أحد ما قدر يتكلم معه في الحقيقة."

عيون المتدربين بدأت تتوتر، بعضهم اتكأ للخلف، بعضهم طالع في الأرض، وفراس... قلبه بدأ يدق بسرعة

"ممکن يكون شخص حي، أو ميت، أو حتى نسخة قديمة من نفسك."

قال سالم

"بس الكلام لازم يكون صادق، حتى لو كان مؤلم."
مضت دقائق ثقيلة، أول متدرب جلس... تكلم مع أمه
اللي ما عرف يقول لها "سامحيني"
الثاني... مع نفسه الصغيرة
سالم رفع عينه لفراس
"تبغى تجرب؟"

سكت

ثم نهض ببطء، وتوجه للكرسي.
جلس، وعيونه على الكرسي الفارغ أمامه،
مرت ثوانٍ ما قال فيها شيء
ثم نطق:

"أبوي."

الصمت انكسر.

"كنت أحتاجك توقف... بس ما وقفت"
"كنت أحتاجك تحضن أمي... بس ضربتها"
"وكنت أبيتك تحبنا... بس كنت دايم مشغول إنك
تكون (الرجل)

صوته بدأ يرتجف.

"أنا ما خفت منك لأنك قوي... أنا خفت لأنني كنت
ضعيف وما اعترفت، دموعه كانت واقفة عند طرف
عينه، لكنه ما نزلها.

بل ابتسم بسخرية، وقال:

"بس الحين... أنا تعبت من كرهك، أبي أرتاح"

قام من الكرسي، وقال بصوت منخفض:

"شكراً... إنك رحمت، يمكن عشان أتعلم أكون أنا"

_____ أنا في عمق البحر _____

سالم هز رأسه بهدوء، وسجّل شيء في ورقته

ما علق

لكن في وجهه... كانت هناك نظرة احترام حقيقية

وفراس، لأول مرة... حس أن الكرسي ما عاد فارغ.

الفصل الحادي عشر:

شيء يشبه الحياة

رجع فراش للبيت متأخراً، الصمت المعتاد كان حاضراً،
لكن حسه أقل ثقلاً من قبل، دخل غرفته، جلس
على سريره، وبدأ يتفقد صندوق خشبي قديم تحت
طاولته، كان فيه صور مبعثرة، دفتر ملاحظات،
وورقة من أيام المدرسة

فتح الورقة... كانت واجب قديم كاتب فيه:

"لما أكبر، أبغى أصير إنسان يسمع الناس"

ابتسم

خرج من الغرفة، وتوجه للمطبخ، أمه كانت تحضّر
عشاء بسيط، وقفت لما شافته، لكنها ما تكلمت

قال بهدوء:

"مممكن أساعدك؟"

رفعت عيونها، مستغربة شوي، لكنها قالت:
"حط الصحون."

وأثناء ما هو يمد يده للخزانة، سألها:
"تحبين الشاي أكثر ولا القهوة؟"

نظرت له لثانية، ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة وقالت:
"يعتمد على الوقت"

جلسوا يأكلون بصمت، بس ما كان صمت ثقيل، كان
أشبه بفرصة

بعد العشاء، راح فراس غرفته، وفتح دفتر جديد
كتب أول صفحة:

"هذا أنا، ما صرت كويس، بس ما عدت أهرب"

وفي اليوم التالي، تواصل مع المركز وطلب منهم
يعطي جلسة تعريفية للشباب الجدد، حتى لو كانت
بسيطة

ما كانت الحياة مثالية، ولا حتى واضحة، لكن كان
فيه إحساس غريب...

إحساس إن فراس أخيراً بدأ يعيش.

الفصل الثاني عشر: ظلي في وجه جديد

كان المركز شبه مزدحم هاليوم، ورشة عمل جديدة للشباب، وفراس كان واقف يساعد في التنظيم، وسط الضجة، دخل شاب نحيل، شعره فوضوي، وعيونه فيها توتر غريب، جلس في الزاوية الخلفية، وما تكلم مع أحد

بعد الورشة، نادى سالم فراس على جنب وقال:
"شايف الولد اللي جلس في آخر القاعة؟ اسمه ليث، جديد، ومن أول لقاء حسيت إنك الوحيد اللي ممكن تفهمه."

فراس تطلع ناحية الزاوية، شاف ليث واقف لوحده.
راح له،

"أنا فراس."

ليث ما نظر له، بس قال بجفاف:

"أدري، تكلمت كثير."

ضحك فراس بهدوء

"وأنت سكت كثير."

سكت ليث، لكن التففت له أخيراً

"وش تبغى؟"

"ولا شي. بس حسيت إنك زعلان من شي... أو من

كل شي."

ضحك ليث بسخرية:

"كل شي. حلوة الكلمة"

فراس جلس جنبه.

ما قال نصيحة، ما ضغط عليه.

بس قال:

"أنا كنت مكانك قبل سنين. مو نفس الظروف، بس نفس الإحساس... إنك تصرخ ومحد يسمع."

"بس أحيانًا، لازم تتكلم حتى لو صوتك مكسور."

ليث ما رد

بس لما التفت له، كان في عيونه شيء جديد...

فضول

ليث شاب في 17 من عمره، مندفع، وغاضب، لكن تحته ألم ما أحد يسمعه.

وفي نهاية اليوم، سأل سالم فراس:

"وش رأيك فيه؟"

قال فراس بابتسامة خفيفة:

"أنا شايف نفسي فيه... ودي أساعده، عشان أقدر أسامح نفسي أكثر."

الفصل الثالث عشر:

ما أقدر أكثر

في ذلك المساء، الجو في المركز كان ثقيل، ليث تأخر
عن الورشة، ولما دخل، كان واضح إن شي موطبيعي،
عيونه حمراء، يده ترجف، وكل خطواته سريعة،
مضطربة

اقترب من فراس وقال بصوت شبه خافت:

"أبغى أتكلم... بس مو هنا."

خرجوا للممر الخلفي، لحظة صمت، ثم انفجر ليث:

"أمي طردتني اليوم."

"قالت لي: طلع من البيت، ما أتحمّل وجودك."

رفع عيونه لفراس، وكل شيء فيه كان يصرخ:

"أنا ما سويت شي... بس أتنفس!"

"أنا مو غبي... بس تعبان!"

ضرب الجدار بيده، بكى بصوت مكبوت...
مو بكاء طفل، بل بكاء أحد حاول كثير يكون قوي،
وانكسر فجأة،

فراس واقف قلبه ينضغط، ما يدري يتكلم... ولا
يسكت، بس أخيراً، قرّب منه، وحط يده على كتفه
وقال:

"أنا كنت ألوم نفسي على أشياء ما كانت بيدي... لين
اكتشفت إن مو كل شي تعيشه يعني إنك غلطان."

ليث ما تكلم، بس ما بعده ضرب، ولا انسحب، بقى
واقف، و صدره يطلع وينزل بسرعة
"وش تبغى الحين؟" سأل فراس بهدوء
ليث همس:

"مكان أنا فيه... بس ما يكون فيني أكره نفسي فيه
أكثر."

فراس لحظتها حس إن الزمن لف فيه، شاف نفسه
زمان، نفس التعب، نفس الرجفة، نفس الشعور إنه
عبء

قال:

"تعال عندي الليلة."

"بس بشرط... ما تهرب من بكره."

الفصل الرابع عشر:

بيت واحد... ظلين

كانت الساعة قرابة 11 ليلاً لما دخلوا بيت فراس،
الصالة هادية، وأضواءها خافته، أمه وأخوه الصغير
كانوا عند خالته، مثل كل جمعة بالليل

ليث وقف عند الباب، ما تحرّك

قال فراس:

"الغرفة هناك، تقدر ترتاح... مافي أسئلة الليلة."

لكن ليث وقف شوي، وقال بصوت منخفض:

"أنت كنت تنام هنا لحالك طول الوقت؟"

هزّ فراس رأسه

"أيوه. كثير... وكان أصعب شي إني أسمع صوت

الثلاجة أكثر من صوت إنسان."

ليث ضحك ضحكة حزينة، ثم قال:

"أنا كنت أحط السماعات... مو عشان الموسيقى،

عشان أغطي صوت أفكاري."

سكتوا، مرّت لحظة غريبة بينهم... مو راحة، بس صدق، بعد ساعة، فراس جلس في غرفته، يحاول ينام، بس عقله ما سكت، ليث، غضبه، نبرته، تعبته

كل شي يذكره بنفسه، وبدأ يسأل نفسه:

"هل أنا فعلا ّ تغيرت؟"

ولا بس أحاول أنقذ أحد... عشان أحس إني

مو ضايع؟"

في اليوم الثاني، ليث صحى على صوت باب يُفتح، فراس كان في المطبخ، يحضّر فطور بسيط،

قال وهو يسكب الشاي:

"جرب تجلس على طاولة، وتاكل بدون ما تشعر إنك غريب."

ليث جلس... بتردد، لكن جلس، وبينما هو يأكل، سأل:
"وش سويت أول مرة حسيت إنك ما تنتمي لأي
مكان؟"

رد فراس بعد صمت:

"جلست مع نفسي، وكتبت اسمي عشر مرات.
كنت أحاول أصدق إنني موجود فعلا."

الفصل الخامس عشر:

جرح بصوت عالٍ

الجو في المركز كان هادئ، بس داخلياً... فراس حاس إن في شي متوتر، ليث من الصباح ساكت، مو على طبيعته، نظراته مشتتة، وإجاباته قصيرة، ووجهه شاحب أكثر من المعتاد، بعد الجلسة، فراس قال له:

"تبغى نروح نتمشى؟"

هزّ ليث رأسه، وطلعوا مشي عالرصيف القريب، ومع أول صمت، قال ليث بصوت حاد:

"تعرف ليش أمي تكرهني؟"

لأنني كنت موجود يوم أبوي مات."

فراس وقف

"كيف يعني؟"

ليث بلع ريقه، ثم قال بصوت مشوّه:

"أبوي انتحر... وأنا الوحيد اللي شافه، كنت واقف

قدامه، وهي كل يوم تطالعني بنفس النظرة... كأني
أنا اللي دفعته."

فراس حس الدنيا تلف فيه، كأن قلبه انسحب من
مكانه، تذكر لحظة قديمة جداً...

يوم كان يصرخ من الغرفة، وأبوه يكسر الباب، تذكر
أمه تناظر فيه وكأنها تقول: "ليش ما وقفت بوجهه؟"

جلس على الرصيف، وهو يتنفس بصعوبة، ليث
جلس جنبه، وسأل:

"حتى أنت؟ تنهار أحياناً؟"

فراس ما رد... بس رفع عيونه، وكانت فيها دمعة
قال:

"كلنا ننهار... الفرق الوحيد إننا صرنا نختار نقوم،
حتى لو بعد وقت."

ليث همس:

"أنا ما أبغى أموت زي أبوي."

فراس مد يده، ومسك يد ليث بقوة:

"وأنا ما رح أسمح لك."

كان الشارع هادي، والهواء بارد شوي، لكن اللحظة بينهم كانت دافئة بطريقة مؤلمة، ليث ما تعود أحد يمسك يده بهالشكل... بدون شفقة، بدون شفقة، بس بإصرار حقيقي، قال ليث:

"أحيانًا أحس إني نسخة منه... نفس نظراته، نفس صمته، نفس النهاية تستناني."

رد فراس:

لا، أنت مو هو، أنت شخص عارف الألم، بس للحين واقف... ومو سهل أحد يوقف بعد اللي شافه."

سكت ليث، ثم قال بخفة:

"أنا تعبت من التمثيل، من إن الناس يقولون لي:

شد حيلك، وانت رجال، لا تبكي"

ضحك فراس ضحكة حزينة

"أنا تعلمت إني أكون رجال من دموعي... مو منها."

مرت لحظة طويلة وهم ساكتين، لكنها ما كانت ثقيلة... كانت مريحة، كأنها المرة الأولى اللي ما يحتاجون يقولون شي عشان ينفهمون وقف ليث وقال:

"أنا مستعد أرجع للمركز بكرة... بس هالمرّة، مو عشان أهرب." "عشان أبدأ."

فراس وقف معه، وقال بهدوء:

"وأنا مستعد أوقف جنبك... كرفيق، مو كمنقذ."

الفصل السادس عشر:

اسم على ورقة

في صباح يوم هادئ، رجع ليث للمركز، بس هالمرّة، بدون فراس يمشي قدامه، هو اللي دخل أول، رفع رأسه، وسلّم، المتطوعين كانوا مشغولين بورشة جديدة:

"جلسة تعبير بالرسم للمراهقين"

فكرة فراس القديمة، بس اليوم... كان فيه نقص في الإشراف، واقترب واحد من الطاقم وقال:
"نحتاج أحد يساعد بتنظيم المواد قبل لا نبدأ... تقدر تساعد؟"

ليث تردد، ثم قال:

"أيوا."

بدأ يرتب الألوان، يوزّع الأوراق، يمسح الطاولة، صغير التفاصيل؟

ممکن، لكن لأول مرة يحس إن أحد يحتاجه، مو
يتحمّله

مرت ساعتين، وجاء فراس وقال له:

"مبسوط؟"

ليث ابتسم:

"غريب الشعور... بس ما أكره."

بعد الورشة، كانت في استمارة بسيطة لازم كل
مشارك يوقع اسمه فيها

ليث كتب بخط ثقيل شوي:

"ليث حاتم"

طالع في اسمه لحظة...

كانه أول مرة يشوفه مطبوع على شي حقيقي
مو تحقيق شرطة، مو بلاغ، مو طرد، وقال بصوت
خفيف لفراس:

"يمكن... أقدر أكون أكثر من قصة حزينة."

فراس رد بابتسامة خفيفة:

"أنت كنت أكثر من أول يوم، بس الحين بدأت

تصدّقها."

الفصل السابع عشر:

رسالة بلا

كانت الساعة تقارب الظهر، فراس في مكتبه بالمركز، وليث يشغل مع مجموعة مراهقين، يوزع عليهم أوراق وألوان، الأجواء كانت هادئة، والعيون مليانة تركيز، لكن فجأة، موظف الاستقبال يدخل على فراس ويقول:

"في وحدة جابت ظرف، وسألت عن ليث، وراحت بدون ما تقول اسمها."

فراس أخذ الظرف، ونادى ليث بعد الورشة سلمه الظرف وقال:

"شكله من شخص يهّمك."

ليث مسكه، وقلبه صار يدقّ بعشوائية، كأنه يعرف خط اليد، فتح الظرف بيد ترتجف، كان في الورقة بس سطين:

"ما كنت أعرف أنك معك، بس ما نسيتك يوم، كلنا ضايعين بطريقتنا."

ما فيه توقيع، بس ليث عرف الخط، أمه، أغمض عيونيه، وكل شي داخله ارتبك، كيف ترسل له رسالة بدون ما تذكر اسمه؟ ليش اختارت ترجع الآن؟

فراس جلس جنبه وقال:

"ما رح أضغطك، بس إذا تبغى تحكي... أنا هنا."

ليث مسك الورقة بقوة، وقال بصوت غاضب:

"ليش لما أبدأ أتففس، لازم شي يرجعني للفرق؟"

سكت لحظة، ثم همس:

"أنا ما أكرهها... بس ما أقدر أرجع لها بنفس القلب."

فراس قال:

"ما حد يرجع بنفس القلب، القلوب تتغير، تتألم،

تتفسى، تتعلم، بس تبقى تنبض."

_____ أنا في عمق البحر _____

ليث وقف، ورمى الورقة على الطاولة:

"أحتاج وقت... أبغى أكون جاهز أواجه، مو أنكسر."

فراس ابتسم بهدوء:

"خذ وقتك... بس لا تسكر الباب، خله موارب، يمكن
يوماً ما، يجيك ضوء منه."

الفصل الثامن عشر:

عيون لا تشبه الغياب

مرت يومين بعد الرسالة، ليث ما قال شي، ما طلب رأي، ما استأذن، بس يوم الخميس، دخل على فراس وقال:

"أبي أروح لها."

فراس رفع رأسه:

"متأكد؟"

ليث هزّ رأسه بثبات:

"أنا ما أبغى أعيش باقي حياتي على علامة استفهام، أبغى أعرف... ليه؟"

فراس قال بهدوء:

"خذي معك؟"

لكن ليث ابتسم لأول مرة بابتسامة كاملة:
"لا... هاالخطوة لازم أمشيها لحالي."

وصل قدام بيت صغير، واجهته باهتة، بس الحنين
فيه كان قوي، طرق الباب بقلب ثقيل، ووقف ينتظر،
فتحت الباب امرأة ملامحها تغيرت، لكن عيونها ما
تغيرت
"ليث؟"

هو ما قال ولا كلمة، بس قالت هي، بصوت متكسر:
"كنت أنتظرك... كل يوم كنت أقول يمكن ترجع، يمكن
أسامح نفسي لو شفتك بخير."
ليث قال:

"أنا بخير... لكني انكسرت كثير عشان أوصل لهنأ."

نزلت دموعها، أول مرة يشوفها تبكي، مو بكاء ضعف،
بكاء ندم.

قالت:

"كنت خائفة، كنت عاجزة، وكنت أم سيئة... بس مو
لحظة نسيتهك."

سكت شوي، ثم قال:

"ما جئت عشان أعاتبك... جئت عشان أفهم،

وعشان أقول... أنا ما أقدر أرجع سنين فاتت،

بس يمكن نبدأ من الآن، كغريبين يتعلمون يحبون
صح."

حضنته، أول حضن بينهم من سنوات... وبدون كلام،

حسّ بشيء داخله ينكسر، بس هالمرّة عشان يبني

من جديد.

في المساء، رجع فراس للبيت، ولقى ليث جالس على
الكنبة، هادي، مبتسم خفيف، قال:
"واجهتها... ونجيت."

رد فراس وهو يصب له شاي:

"وتستاهل تعيش، مو بس تنجو."

الفصل التاسع عشر:

ظلي لا يخيفني بعد الآن

جلس فراس في غرفته، ضوء المكتب خافت، و
الدفتري قدامه مفتوح على صفحة فاضية
مرّت أيام وهو يسمع ليث، يشجعه، يدفعه، لكن ما
سمع نفسه

كلهم يظنون إن فراس الشخص القوي، الحكيم، اللي
دايم عنده إجابة، بس اللي ما يعرفونه، إنه نام كثير
ليالٍ وهو ما يقدر يجاوب على سؤال واحد:

"أنا ليه للحين هنا؟"

أخذ قلمه، وكتب بخط مهتز:

"كنت أظن إني مكسور للأبد، لكن ليث خلاني أصدق
إننا نقدر نبدأ من النص."

وقف، طلع صندوق قديم من تحت السرير، فتحه،
صور، ملاحظات صغيرة كتبها وهو في أسوأ أيامه،
دواء تركه بعد رحلة طويلة مع الاكتئاب، مسك ورقة
فيها كلمة كتبها من سنة:

"أنا عبء."

طواها بهدوء، ورماها في سلة المهملات، فتح درج
المكتب، وطلع إعلان قديم لمعرض دعم نفسي كان
يتمنى يشارك فيه، لكنه خاف، هالمرّة... كتب بخط
واضح:

"أنا فراس... وأبغى أحكي قصتي."

قرر يقدم ورشة خاصة فيه، بعنوان:

"كيف تساعد وأنت ما زلت تتعافى؟"

مو كعالج... مو كمنقذ

"كإنسان"

في نهاية اليوم، جلس هو وليث على درج المركز
ليث قال:

"حاسس كأني أول مرة أعرف أن العالم ممكن يكون
طيب."

وفراس رد:

"وأنا أول مرة أحس إنني مش مجبور أكون قوي دايم
، يكفي أكون صادق."

ضحكوا، ضحك حقيقي... من النوع اللي ينقي الروح

الان نختم بالفصل الأخير النهايه الي فيها كل الطريق
المؤلم يصير ماضي يحتضن لا يخجل ونحط لمسه
دافئه مثل شروق بعد ليل طويل.

الفصل العشرون:

أنا في عمق البحر... وأتنفس

بعد أشهر من آخر مواجهة، صار كل شيء مختلف،
مو مثالي، لكن حقيقي، ليث صار جزء من فريق
المركز، مو متطوع بس، بل شخص الناس تنتظره،
تسمع له، تثق فيه

فتح ورشة خاصة بعنوان:

"أصوات بلا صوت"

يستضيف فيها شباب مرّوا بظروف تشبهه، ما
يعطيهم حلول، بس يسمع، وهم يرتاحون، لأنهم
يشوفون في عيونه نفس الخوف اللي كانوا
يحسبونه ضعف

أما فراس...

وقف على منصة صغيرة، قدام حضور بسيط، أغلبهم من مراقبين وأهلهم.

قدم أول ورشة علنية له، بدأ كلامه بجملة بسيطة:

"مو لازم تنقذ أحد... بس لا تصير الشخص اللي خلاه يغرق أكثر."

صوته كان ثابت، عينه ما تهرب، ظلّه صار أصغر، لأن النور صار أوضح

في نهاية الورشة، طلع ليث ومعه لوحة كبيرة رسمها بنفسه، سلمها لفراس، وكانت مكتوب عليها بخط كبير:

"أنا كنت في عمق البحر... لكني الآن أتنفس."

وبزوايا اللوحة، رسم عيون كثيرة، ألوان مختلفة، بعضها داعم، بعضها مبتسم، ورسم نفسه صغير،

يحاول يطفو

فراس وقف قدامها وقال:

"هذا مش فن... هذا حياة."

وفي لقطة هادئة، جلسوا سوا على درج المركز، مثل
زمان، فراس قال:

"تفتكر أول مرة جيتني؟ كنت ضايع، غامض، ساكت."

ليث ضحك وقال:

"وأنت كنت تظن إنك فاهم كل شيء... بس كنت
تخاف زيي."

قال فراس:

"الحين؟"

رد ليث:

"الحين، احنا نجونا، مو لأننا أقوياء، بل لأننا قررنا
نكمل، حتى واحنا نغرق أحيانًا."

الختام

لم تكن الرحلة سهلة، ولم تكن واضحة، لكن فراس تعلم أن الغرق لا يعني النهاية، وأن مواجهة الداخل أصعب من الهروب منه، كل صمت نطق، وكل ظل أصبح مفهوماً، والألم الذي كان يخيفه... صار دليلاً للخروج.

النجاة لم تكن بالهرب، بل بالصدق، وبين كل تلك الفصول، كانت الحقيقة تنتظره.

"أنا في عمق البحر... لكنني أتنفس."

نهاية الرواية

"أنا في عمق البحر...:-) ♡"

محببتكم: ملاك جميل

الفهرس

1. الفصل الأول: لا قاع لما أشعر به
2. الفصل الثاني: الممر
3. الفصل الثالث: الباب الأول - الصوت
4. الفصل الرابع: كأي شخص آخر
5. الفصل الخامس: الزائر
6. الفصل السادس: الذكرى (تكملة المواجهة)

7. الفصل السابع: بداية صغيرة

8. الفصل الثامن: الباب المفتوح

9. الفصل التاسع: صوت الداخل

10. الفصل العاشر: الكرسي الفارغ

11. الفصل الحادي عشر: شيء يشبه الحياة

12. الفصل الثاني عشر: ظلي في وجهٍ جديد

13. الفصل الثالث عشر: ما أقدر أو اصل

14. الفصل الرابع عشر: بيت وظلّين

15. الفصل الخامس عشر: جرح بصوتِ عالٍ

16. الفصل السادس عشر: اسم على ورقة

17. الفصل السابع عشر: رسالة بلا مقدّمة

18. الفصل الثامن عشر: عيون لاتشبه الغياب

19. الفصل التاسع عشر: ظلّي لا يُخيفني بعد الآن

20. الفصل العشرون: أنا في عمق البحر أتنقّس

أنا في عمق البحر

في عمق البحر، لم يكن هناك ماء، بل صمت.
روايه نفسيه تتبع رحلة فراس، الشاب الذي
غرق في داخله قبل ان يسبح في هذا
العالم.

بين الممرات، الظلال، والصراعات الداخليه،
تتشكل القصة لاحول الخارج، بل حول
ما يحدث في الداخل.

ليت رفيقه في الغرق لم يكن إلا مرآة
لانكسار آخر.

وهكذا تبدأ الحكايه:

لاعن حب، ولا عن حرب، بل عن النجاة من
النفس، ومن الذاكرة، ومن الالم.

"أنا في عمق البحر"

رواية تهمس لكل من نجا بصمت، او مازال
يحاول.